

الخصائص

وذلك لأنه ما دام كذلك غير مصفّى فهو كالذاهب لأن ما فيه من التراب كالمستهلك له أو لأنه لمّا قلّ في الدنيا فلم يوجد إلا عزيزا صار كأنه مفقود ذاهب ألا ترى أن الشيء إذا قلّ قارب الانتفاء . وعلى ذلك قالت العرب : قلّ رجلاً يقول ذلك إلاّ زيد بالرفع لأنهم أجرواوه مجرى ما يقول ذاك أحد إلا زيد . وعلى نحوٍ من هذا قالوا : قلّما يقوم زيد فكفّوا (قل) ب (ما) عن اقتضائها الفاعل وجاز عندهم إخلاء الفعل من الفاعل لمّا دخله من مشابهة حرف النفي كما بقّوا المبتدأ بلا خبر في نحو هذا من قولهم : أقلّ امرأتين تقولان ذلك لمّا ضارع المبتدأ حرف النفي . أفلا ترى إلى أنّهم باستعمال القليلة مقارنة للانتفاء . فكذلك لمّا قلّ هذا الجواهر في الدنيا أخذوا له اسما من الذهاب الذي هو الهلاك .

ولأجل هذا أيضا سمّوه (تديرا) لأنه (فعّل) من التديار . ولا يقال له (تدير) حتى يكون في تراب معدنه أو مكسورا .

ولهذا قالوا للجام من الفضة (الغراب) وهو (فعّل) من الشيء الغريب وذلك أنه ليس في العادة والعرف استعمالُ الأنية من الفضة فلما استعمل ذلك في بعض الأحوال كان عزيزا غريبا . هذا قول أبي إسحق . وإن شئت جذبتة إلى ما كنّا عليه فقلت : إنّ هذا الجواهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه ألا تراهم إذا أثّنوا على إنسانٍ قالوا : هو وحيد في وقته وغريب في زمانه ومنقطع النظير ونسيج وحده . ومنه قول الطائي الكبير :